

أضواء البيان

@ 320 @ وَنَصَرُوا نَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبُونَ * وَعَاتَيْنَاهُمْ مَا
الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *
وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآسِ خَرِينِ * سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّا هُمْ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ *
وَإِنَّا لِلْيَاسِ لَمِنَ الْمُؤْمِرِ سَلِينِ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ *
أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّاهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
ءَابَائِكُمْ الْآسِ وَاللَّيْنِ * فَكَذَّبُّوهُ فَأَيْنَاهُمْ لِمُحْضِرُونِ * إِلَّا عِبَادَ
اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآسِ خَرِينِ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّا هُمْ مِّنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّا لَلْوَطَاءِ لَمِنَ الْمُؤْمِرِ سَلِينِ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَاهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآسَ
خَرِينِ * وَإِنَّا لَنَكْمُومٌ لِّلْمُؤْمِرُونَ عَلَيْهِمْ مَّصْبِحِينَ * وَبِالْبَيْتِ الْأَقْلَامِ
تَعْقِلُونَ * وَإِنَّا لَيُؤَسِّسُ لَمِنَ الْمُؤْمِرِ سَلِينِ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكَ
الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ
وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَاوَلَا أَرَئِيهِ كَذَّبَ أَمَّا نَمِنَ الْمُؤْمِرِينَ * لَلَّيْثَ فِي
بَطْنِهِ إِبْرَاهِيمَ يُدْعَوْنَ * فَنَدَبَ ذُرِّيَّتَهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ *
وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقُوطِينِ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ
أَلْفِ أَوْ يَزِيدُونَ * فَأَمَّا نَمِنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِبْرَاهِيمَ * فَاسْتَفْتَاهُمْ
أَلرَّبِّكَ الْبَيْنَاتُ وَلَهُمُ الْبَيْنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا
وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّا نَحْنُ مِّنْ إِبْرَاهِيمَ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهِ
وَإِنَّا هُمْ لَكَادِبُونَ * أَصْطَفَىٰ الْبَيْنَاتِ عَلَىٰ الْبَيْنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مَّبِينٌ * فَأَتُوا
بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضِرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ
عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّا نَكْمُومٌ وَمَا
تَعْبُدُونَ * مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ
* وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَاحِنُ الصَّافُونَ *

وَإِنَّا لَنَذَحْنُ الْمُسْبِيحُونَ * وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّا
عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُمَّةِ لَنَلَيْنَهُنَّ لَكُنُوزًا عِيدًا لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ *
فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَدَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِيدَادِنَا
الْمُؤْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُتَنصُرُونَ * وَإِنَّا جُنْدَنَا لَهُمُ
الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ * أَفَدَعَدْنَا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُؤْنَذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصُرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ *
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } < 7 ! }
وَلَقَدْ مَنَنْتَنَا عَلَىٰ مَوْسَىٰ وَهَارُونَ { . ذكر جلَّ وعلا منته عليهما في غير هذا
الموضع ؛ كقوله فيه (طه) : { قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مَوْسَىٰ مَوْسَىٰ *
وَلَقَدْ مَنَنْتَنَا عَلَىٰكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ } ؛ لأن من سؤله الذي أوتيته إجابة دعوته في
رسالة أخيه هارون معه ، ومعلوم أن الرسالة من أعظم المنن . { وَنَجَّيْنَا هَامَانَ
وَقَوْمَهُ مِمَّا مَنَّا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ } . قوله : { وَقَوْمَهُ مِمَّا } ، يعني بني
إسرائيل .

والمعنى : أنه نجى موسى وهارون وقومهما من الكرب العظيم ، وهو ما كان يسومهم فرعون
وقومه من العذاب ، كذبح الذكور من أبنائهم وإهانة الإناث ، وكيفية إنجائه لهم مبيّنة في
انفلاق البحر لهم ، حتى خاضوه سالمين ، وإغراق فرعون وقومه وهم ينظرون . .
وقد قدّمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة (البقرة) ، في الكلام على قوله تعالى : {
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبِحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمُ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ } ، وقدّمنا تفسير الكرب العظيم في سورة (الأنبياء) ، في الكلام
على قوله تعالى في قصة نوح : { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَاهُ مِّنَ
الْكُرْبِ الْعَظِيمِ } . { وَنَصَرْنَا هَامَانَ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبُونَ } . بيّن
جلَّ وعلا أنه نصر موسى وهارون وقومهما على فرعون وجنوده ، { فَكَانُوا هُمُ
الْغَالِبُونَ } ، أي : وفرعون وجنوده هم المغلوبون ، وذلك بأن الله أهلكهم جميعاً
بالغرق ، وأنجى موسى وهارون وقومهما من ذلك الهلاك ، وفي ذلك نصر عظيم لهم عليهم ، وقد
بيّن جلَّ وعلا ذلك في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : { قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مِمَّا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا
أَنتُمَا وَمَن اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ } ، إلى غير ذلك من الآيات .
وآياتنا هَامَانَ الْكِتَابِ الْمُؤْتَبِرِينَ } . { الْكِتَابِ } هو التوراة ، كما

ذكره في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاتِيهِ وَجَعَلْنَا هُدًى لِّبَنِيهِ } ، وقوله تعالى : { ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } ، وقوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّ هُمْ يَهْتَدُونَ } ، وقوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ } ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقد قدّمنا بعض الكلام على ذلك في سورة (البقرة) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ * وَالْفُرْقَانَ } . { وَإِن نَّكُومُ لَنَنصُرَنَّ مَنَّا عَلَىٰ هُمٍ مَّصِيحِينَ * وَبِالْبَيْتِ الْأَقْلَامِ } . قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة (الحجر) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَإِن نَّهَاهَا لَجِسَبِيلٍ مَّقِيمٍ } . وفي سورة (المائدة) ، في الكلام على قوله تعالى : { مِّنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنزَّاهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أُوِّدٍ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا نَزَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } ، وغير ذلك من المواضع . { فَلَاوَلَا أَنزَّاهُ كَان مِّنَ الْمُصَيِّحِينَ * لَلَّابِثًا فِي بَطْنِهِ } .

إِلَى يَوْمٍ يُدْعَتُونَ } . تسبيح يونس هذا ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام المذكور في (الصافات) ، جاء موضحًا في (الأنبياء) ، في قوله تعالى : { وَذَٰلِكَ النَّبِيُّ إِذْ نَهِىٰهُمُ مِّنْ غَضَبٍ فَطَنُوا أَن لَّن نَّقُدِّرَ عَلَيْهِ } .